

تأليف على الصنهاجي المنهاجي المنهاجي المنهاجي المنهاجي المنهاجي المنهاجي المنهاجي المنهاجي المنهاجي المنهاجية المنه

دار المنصور للطباعة والوراقة ... الرباط 1 9 7 1

State of the state

من بين الكنب الناريخية القليلة التي ألفت في بداية المصر الموحدي وسلمت من الناف الكلي كالمحتاب من تأليف أبي بكر بن علي الصنهاجي المكريا بالبيدق سعاه ناشره الاأول (أخبار المهدي بن تومرت وبدابية دولة الموحدين).

وهو كتاب قيم جداً من الوجهة التاريخية، ترجم أهميته إلى كور مؤلفه شارك بنفسه في صنع الوقائم التي وصفها، لا أنه أحد للامذ الفقيه محسد بن تومرت الهرعي مهمكي الموحدين، ورفيق من حين المغناء خلفه المهتري عبد المومن بن علي المكومي باني دولتهم، وإلى عين اللاتية والنعيل والسذاجة أيضاً وحقيقة دعوته، ويلمقي أضواء على تنظيمات حركته ومراحل الصراع وحقيقة دعوته، ويلمقي أضواء على تنظيمات حركته ومراحل الصراع المنيف المذيف الذي اقترن في المذرب برجوعه إليه من رحلته المشرقية وانتها المقضاء على دولة المراطين.

ويظهرُ أن الكتابَ عرف في الأول رواجاً في الوسط الثقافي ، فقيد اعتمده مؤرخان اثنان فيما وقفت عليه وجعلاء من مراجعهما فيا ألُّفاه ، أحدهما ابن القطأن صاحب كتاب نظم الجمان ، والثاني ابن عذاري صاحب البيان المغرب، ولكنه اختفا بعد ذالك ، فيلم يعد أحد من المؤرخين يسقل عنه أو يتحدث بشيء عن مؤلفه، وإننَّني لَأَتخبَّلُ المراحلُ التي قطعها هاذا المؤلَّفُ مَنذ تأليفه في منتصف القدرن السادس الهجري إلى أن نشرته المطمةُ في منتصف القرن الرابع عشر، فأُتسوَّرُ أَنَّ البيدَقَ كُتُب منه نسخية واحدة أهداها إلى أحد خُلفاء الدولة الموحدية وأودعها خزانة من خزائبهم الواسعة فاستفاد منها من كان يمكنه الوصول إليها قبل أن تتبيه بين آلاف من كتبها ودواوينها، ثم جاءت فنسرةُ الفِينَنِ التي قامت بين الموحدين أنفسهم وبينهم وبين الحارجين عليهم إثر انكسار جيوشهم في غـزوة العُقّاب وما تلاها من خـراب قصورهم ونهب ذخـائرهم وتبدُّد أغسلا قهم ومنهما مجماميع كُنُسِهم شَدَّرَ مَـدَر، فكان حَظُّ كتابِ البيدَق حظَّها: تبدُّل بالاستقرار في خزائن قصور الحلفاء بالحضر الاستقرارَ بأحد حُصُون الرؤساء بالجبال، فنالتُ منه الرطوبةُ

وعاتت فيه الأرضة فساداً، فاختل نظامه وتمزّقت أوصاله إلى أن اهتدا إليه ناسخ من الا رياف في أوائل القرن الثامن الهجرى (1) فأعاد كتابة ما بقي منه في مجموع انتقل بطريقة من الطُّرُق فيما بعد إلى مكتبة دَيْرسان لورانثو بمدينة الا سكوريال الاسانية فحفظ في إضارة من أضابيرها لم توضّع له جُزازة ولايعرف له محتوى أو مدلول حتى عشر عليه المستمرب العلامة ليقى بروفانسال أثناء أبحاثه البيليو كرافية بتلك المكتبة سنة 1924 فاهتدا الكتاب بعد ضلال طويل ورأا النور بعدما حجبه ظلام كثيف زهاء ثمانية قرون.

وخلال الأعوام التالية اعتنا المستعرب المذكور بالكتاب وبما وجد معه من وثائق أخرا ترجع إلى العصر الموحدى (2) فترجمها كلّها إلى اللغة الفرنسية، ثم قدم النصوص الأصلية والترجمة الفرنسية إلى دار كرو تنز بباريس فنشرتها في كتاب واحد سنة 1928 ومنذ ذالك الوقت بدأ المؤرخون المعاصرون يتقلون منه ويستشهدون بنصوصه، كما بدأ الاهتمام بشخص مؤلفه ومحاولة

 ¹⁾ عام 114 بالضبط. واسم الناسخ ابراهيم بن موسا بن محمد الهرغي. `
2) الوثائق الاخرا هي عدد من الرسائل الموحدية والمقتبس من كتاب
الانساب في معرفة الأصحاب للبيذق نفسه.

التمرف عليه والتعريف به .

و بخصوص هاذه النقطة الأخيره تنبغي الاشارة إلى المقال القيم الذي كتبه عن السدق الأستاذ الوزير السيد محمد الفاسي ضمن سلسلة المقالات المهممة التي كتبها قبل الحرب العالمية الثانية وأثناءها عن تاريخ الأدب المعربي، إذ هي المحاولة الأولا من نوعها للتعريف برجل يظهر من ثنايا حديثه وفصول كتابيه الواصلين إلينا (3) أنه أحد الأقطاب الذين قامت على سواعدهم الدعوة الموحدية وأغفله مع ذالك الزمان.

والآن وقد مرَّ على نشر الكتاب لأَوَّ ل مرَّة نحوُ نصف قرن وقلَ تداولُه وأصبح حكمه حكم الكُتُب الحَطيَّة طلبت منى دارُ المنصور للطباعة والوراقة أن أقوم بتحقیقه استمداداً منها لطبعه وجمله قریب التاول من أیدی المثقفین ، فلبیت طلبها علماً بقمة نشر هاذا الا ثر من آثارنا العلمیة وأشباهه ونظائره .

وقد اعتمدتُ في تحقيقي للكتاب - أو للنبدة الباقية منه على الأصح - على النص المنشور بباريس ، لأنه لم يقدّر لى أن

3) الكتاب الثاني هو المقتبس من كتاب الانساب المشار اليه أنفا

أطلع على الأصل الحقطي المحفوظ بالاسكوريال، وهو نص لايخلو من أخطاء رسمية ولغوية ونحوية بعضها من عبل المؤلف نفسيه وبعضها من عمل الناسخ أو الناشر، فأخرجت منه نسخة هي أدنا إلى الصحة، ثم قمت بالتعلق على ما اعتقدت أنه في حاجة إلى تعليق من جمله وألفاظه، لاسيا الكلمات والعبادات المامية الواردة فيه بكثرة والدائمة على أن لغة التخاطب بين عرب المغرب لم تتطور من المصر الموحدي إلى الآن كثيراً، بين عرب المغرب لم تتطور من المصر الموحدي إلى الآن كثيراً، معتمداً على فطنة القارئ ونشاط الباحث في الباق، مجتنباً الحشو الذي يعمد إليه بعض الباحثين فيصيرون به حواشيهم وتعاليقهم أحياناً أكبر من منن الكتاب الذي يحققونه.

وعسا أن تسمح الايام بالعثور على نسخة كاملة من كتاب البيذق تتبح لى أو لمَن يأتى من بعدى أن يُعيد طبعه ويقول عنده وعن مؤلفه ما لم أقدل ، فإن ما ظهر فى هاذه السنين الأخيرة من تُراثينا العلمي والادبي المقبور يجملنا أدنا إلى الشقة والتفاؤل بالمشور على باقيه فى زمن لن يطول.

الرباط - الادبعاء 20 أكتوبر 1971 عَبْلُوهَابِ بِنَصْفَحُور

باب نذكر فيه دخول سيدنا المعصوم رضى الله عنه تونس

.... (١) وكان طلبتها بأتون إلى الامام رضي الله عنه يأخذون عنه العلم، فلما كان بعد خمسة عشر يوماً صلاً الظهر يوم الجنمعة ، فلما صليت الفريضة صلاً على الجنائز ، فنظر الامام إلى جنازة من وراء الناس فقال لهم لم لا تصلون على هاذه الجنائزة ؟ قالوا له مو يهودى وكان يصلى ، فقال لهم رضي الله عنه أفيكم من يشهد له بالصلاة ؟ فقال الناس نعم من كل جانب ومكان ، فقال لهم قد شهدتم له بالايمان ، ثم أمر من يقيم الصفوف وصلاً عليه ونحن من ورائه ، فلما صلاً دعا بالفقها، ووبتنهم وعرفهم بالسنة وبين لهم الكتاب العزيز ، فقالوا له بعد أن عرفوا الحق جهلنا يافقيه ، فكانوا يأخذون

T) من هذا يبدأ العرف الباتي من الكتاب، والمؤلف يتخدث هذا عن مقام محمد بن توموت بتونس خلال رجوعه الى وطنه من وحلته المسروية ، وتكاد تجمع الروايات التاريخية على أن ذالك الرجوع كان في بداية عام 510 هـ أو العامين اللذين بعده ، وقد ركب ابن توموت في رجوعه الى العرب سفينة من الأسكندرية بعد ما نفاء واليها منها ومر يطرابلس والمهدية قبل أن يدخل نونس ويواصل منها السفر غربا ، وكان كلما دخل مدينة تصب نفسه فيها للامر بالمعروف والنهي عن العنكر فيتضايق منه الولاة وينفونه أو يؤذونه بسبب ذالك ، وذكر عبد الواحد العراكشي في المعجب أنه فعل ذالك أيضاً في السفينة التي ركبها من الإسكندرية حتى تضايق منه ركابها والتوم في البحر ، ولا شك أن البيفق تحدث عن كل ذالك في الأوراق الأولا المفقودة من كتابه رئه كان رفيقا له في السفر ، كما تحدث عن كل ذالك في الأوراق الأولا المفقودة من كتابه رئه كان رفيقا له في السفر ، كما تحدث عن أصله ونشائه وطلبه ورحلته من وطنه وبداية دعوته .

- I3 -

باب نذكر فيه دخول سيدنا المعصوم رضى الله عنه بجاية

وذالك أن المعصوم رضي الله عنه لما دخل بجاية (3) نزل بمسجد الريحانة ، وكان ينها الناس عن الأقسراق الزرارية وعمائم الجاهلية ولباس الفتوحيات (4) ويقول لا تتزيعوا بزي النساء ، لأنه حرام ، وكان يبيع الطيب للرجال والنساء ، وكان الفقهاء يأتونه الذين منهم محرز ، وإبراهيم الزبدوى ، وإبراهيم الزبدوى ، وإبراهيم الزبدوى ، وعبد الرحمان بن الحاج الصنهاجى القاضى ، وذالك فى شهر رمضان المعظم ، فلما كان يوم الفطر اختلط الرجال والنساء فى الشريعة (5) ، فلما رآهم الامام رضي الله عنه دخل فيهم بالعصا يمينا وشمالا حتى بددهم ، فلما رآه ابن العزيز يفعل خالك قال له يافقيه لا تأمر السوقة بالمعروف وهم لا يعرفونه ، فانى أخاف أن يأمروا فيك وتهلكهم ، لا يستوى حر كريم مع شيطان رجيم . فسار الامام رضي الله عنه الى ملالة (6) فلما رأوه قال له بنو العزيز يافقيه نريد أن نبني الطلبة يصلون إليه من كل مكان ،فلما كان فى بعض الأيام دخل المدينة حتى وصل باب البحر فأهرق به الخمر ، فقال المؤمن تمار والكافر خمار ، فرما

(3) ذكر ابن أبى زرع فى كتابه الأنيس المطرب بروض القرطاس أن وصول محمد بن تومرت ال بجابة كان فى أول ربيع الأول سنة 510 (الجمعة 14 يوليوز 1116 م) و يجعل ابن القطان وابن خلكان وصوله البها فى سنة 512 أما ابن خلدون فيجعل ذالك فى سنة 512 ص.

عنه العلم أياماً عديدة ، فلها كان بعض الأيام أمرنا بالأخذ على أنفسنا ، وقال لنا نتوجه إن شاء الله نحو الغرب ، فخرجنا من تونس ونحن أربعة نفر كما كنا أول القدوم : سيدنا المعصوم رضي الله عنه ، ويوسف الدكالى ، والحاج عبد الرحمان ، وعبدكم الفقير المؤلف لهاذا أبو بكر بن علي الصنهاجي الماكناً بالبيذق ، فلم نزل نجد السير حتى وصلنا قسنطينة ونحن في أمن من الله ، ما وأينا إلا الخير .

باب نذكر فيه

دخول سيدنا المعصوم رضى الله عنه قسنظينة

وذالك أنه لما دخل سيدنا المعصوم قسنطينة نزل بها عند الفقيه عبد الرحمان الميلى ، ويحيا بن القاسم ، وعبد العزيز بن محمد ، وكان أميرها ابن سبع بن العزيز ، وكان قاضيها قاسم بن عبد الرحمان ، وكان الطلبة الذين بها يأتون المعصوم يقرأون عليه ، فلما كان في بعض الأيام سمع صوت مناد وهو ينادي هاذا جزاء الحلائل ، فقال المعصوم : ما هاذا النداء ؟ فقالوا له هاذا حلائل (2) يأخذ أموال الناس ويدخل عليهم ليقتلهم فقال ليس عليه سياط ، إنما عليه القتل ، ولكن يجزيه ذالك الضرب ، فبينما هم كذالك إذ سمع منادياً ينادي هاذا جزاء أهل السرقة ، فقال ياقوم ، تركتم الشرع ، إنما يجب عليه قطع اليد ، فقالوا له يافقيه ، فما نصنع به ؟ فقال لهم إنما هاذا الضرب يقوم لله مقام قطع اليد بجهلكم ، لأنه لا يجوز جمع مدئين في ذنب واحد ، ثم قال للسارق تأب ، فقال يافقيه أنا تائب لله تمالا بقلب صادق ، فتاب على يد الامام المعصوم رضي الله عنه ، وعلمه من شروط التوبة وبينها له ، ثم قال لنا الامام المعصوم رضي الله عنه ، وعلمه من شروط التوبة وبينها له ، ثم قال لنا الامام المعصوم رضي الله عنه ، وعلمه من شروط التوبة وبينها له ، ثم قال لنا الامام المعصوم رضي الله عنه الزل نجد السير حتى دخلنا بجاية وبالله التوفيق .

إلاقراق جمع قرق: شبه الخف، ما زالت عاده الكلمة مستعملة في المغرب الأوسط،
والفتوحيات جمع فتوحية لباس يشبه ما نسميه نحن في فاس بالمنصورية والفرجية.

⁵⁾ مصلا العيدين .

⁶⁾ قرية بظاهر بجاية كانت تسمأ بالبربرية تاملالت.

²⁾ الحلال في عربية المغرب القديمة هو السارق.

قرأ حزبه وصلاً ورده في تلك الليلة ، ثم نام فرأا الرؤيا بعينها إلا أن الناس

يبايعونه ، فلما أفاق أعلم عمه بها ، فقال له اكتم هاذا الأمر فانه رأت أمك وهمي

بك حامل كأن النار تخرج منها وتحرق المشرق والمغرب والقبلة والجوف ،

فقال لها المعبر بتلمسان لابد لهاذه المرأة من مولود يكون أمره يأخذ المشرق

والغرب والقبلة والجوف ، ولكن اكتم هاذا الأمر ولا تعرف به إنسانًا ، وكذالك

قال لى أبوك على" ، ولقد رأيت في أمرك موعظة ، كنا نحصد الزرع وأمك بك

حامل ، فجاءت للفدان واضطجعت نائمة ، فأقبل بندان من نحل فنزلا على

أمك ، فلما خلقت أنت أتت أمك الفدان فلقطت السنبل وتركتك نائماً ، فنزل

أيضاً عليك النحل أكثر مما كان نزل على أمك وأنت في جُوفها ، ثم قام النحل

عنك وافترق فرقتين واحدة للمشرق وأخرا للمغرب، فقال على الله أكبر،

هاذا هو الذي قال الفقيه بتلمسان ، فلما رجعنا من الفدان قال لأمك احفظيه

فانه لابد له من الأمر الذي ذكر الفقيه المفسسِّر ، فكانوا ينتظرون منه حتى

بلغ مبلغ الرجال ، ونشأ على الحفظ والقراءة ، وكان رضي الله عنه كثيرَ الفهم

يفهم الناس مسألة ويفهم هو عشرة ، فلما سمع رضي الله عنه مقالة عمه قال

له ياعم اخرج مع الناس أرى هاذا الفقيه السوسي ، وأقول له هاذه المنامات

وهاذا الأمر واسأله في أحوال الديانات والواجبات، فإني أسمع الناس يذكرون

مغربات أقواله وصلاح دينه وفهمه للكتاب والسنة ، فقال له سر إليه وأسرع

لأنًّا على السفر (9).

وذالك أن الحق تبارك وتعالا أزعج أمير المؤمنين الخليفة عبد المؤمن ابن علي رضي الله عنه من بلده نحو المشرق، فجد حتى وصل بجاية هو وعمه يعلو ، وذالك أنه لما خرج الخليفة أمير المؤمنين مع عمه رضي الله عنهما جدا حتى وصلا متشيجة (8) فنزل بها عند الفقية أبى زكرياء وأخيه صنع فأقاما بها أياماً حتى أن الله تعالى أرأا منامة للخليفة رضي الله عنه ، وذالك أنه رأا صحفة من طعام على ركبتيه يأكل الناس منها كافة ، فلما أصبح قال لعمه ياغم رأيت كذا وكذا ، فقال له أكثم هاذه الرؤيا ، وارتحلا حتى وصلا لبني زلدوى فرأا المنامة بعينها إلا أن الصحفة على رأسه والناس أجمع يأكلون منها ، فأعلم أيضاً عمه ، فلما أصبح أقبلا يجدان السير حتى نزلا بجاية ونزلا بها في مسجد الريحانة ، فلما صليا الصبح سمعا الناس يقولون سيروا بنا نحو في مسجد الريحانة ، فلما صليا الصبح سمعا الناس يقولون سيروا بنا نحو النقيه فقال لهم الخليفة أمير المؤمنين رضي الله عنه : ومن الفقيه ؟ قالوا له السوسي ، هو عالم المشرق والغرب ، وما مثله إنسان ، فقال لعمه ياعم سر بنا نحوه إن شاء الله ، ولما وصل الخليفة رضي الله عنه بجاية وجن عليه الليل

9) لا شك أن الخيال الدعائي لعب دوراً كبيراً في تصوير الكيفية التي تم بها لقا، عبد المومن بن على بشيخه ابن تومرت ، وأقرب الروايات الى العقل ما ذكره ابن القطان في نقام الجمان من أن طلبة تلمسان لما توفي شيخهم عبد السلام التونسي دفين قرية العباد جوار الشيخ أبي مدين الغوث ندبوا رفيقهم عبد المومن للذهاب الى المشرق بقصد استقدام ابن تومرصد الى تلمسان ليحل محل شيخهم المتوفا في تدريس العلم بها ، وقد كان خبره بلغ اليهم ، فخرج عبد المومن مع عمه بقصد الحج واستقدام الفقيه ، فلقياه بعلالة عائداً من المشرق فاستلحبا وعدل عبد المومن عن مواصلة السفر للحج ، وعاد مع شيخه لا الى تلمسان لباغذ بها مع وناقه عنه العلم ولكن الى جبال المصامدة بأقصا المغرب ليبث معه الدعوة ويتولا بعده الملك !

فيه اليد عبيد' سبع ، وقالوا له من أمرك بالحسبة ؟ فقال : الله ورسوله ، ثم رجع إلى المسجد المذكور ، وهاذا المسجد مبنى عند دار يرزيجن بن عسر المكتا أبا محمد الذى سماه المعصوم رضي الله عنه عبد الواحد (7) فكان الطلبة يقرأون العلم عليه ، فاذا فرغوا جلس بين الطرق تحت خروب العجوز ، وهو أبداً ينظر الى الطريق ويحرك شفتيه بالذكر ، وذالك الموضع يعرف بخروب العجوز ، فبينما هو ذات يوم قاعد إذ سمعناه يقول : الحمد لله الذى أنجز وعده ونصر عبده وأنفذ أمره ، وأقبل نحو المسجد وركع ركعتين ، ثم فال : الحمد لله على كل حال ، قد بلغ وقت النصر ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، يصلكم غداً طالب طوباً لمن عرفه وويل لمن أنكره ، فلما سمع الناس غداً يصلكم طالب حاروا في أمره .

⁷⁾ هو عبد الواحد المعروف عند الموحدين بالشرقي احد أصحاب المهدى المقربين اليه .

⁸⁾ اسم قبيلة بربرية سمى بها السهل الواقع خلف مدينة الجزائر حيث مدينة البليدة الحالية وقد كانت به قرية آملة تدعا متبجة ايضا.

ىاب نذكر فيه اتصال الخليفة بالإمام المهدى رضى الله عنهما

إعلم ياأخي أنه لما جد السير نحو الامام اجتمع مع الطلبة فلي طريقه فاصطحب معهم حتى بلغ باب المسجد ، فرفع المعصوم رضى الله عنه رأسه فواقفه أمامه ، فقال له : ادخل ياشاب فدخل ، فأراد أن يقعد في جملة الناس ، فقال له الامام المهدى المعصوم رضى الله عنه : ادن الشاب ، فلم يزل يدنو من الامام والمعصوم يُقربه حتى دنا منه ، فقال له المعصوم : ما اسمك يافتا ؟ فقال : عبد المؤمن فقال له المعصوم : وأبوك على ؟ فقال نعم ! فتعجب الناس من ذالك ، فقال له ياشاب من أين إقبالك ؟ قال له : من نظر تلمسان ، من ساحل أومية ، فقال له المعصوم من تاجرا (١٥) أم لا ؟ فقال له نعم ، فزاد الناس تعجباً ، فقال له المعصوم رضى الله عنه أين تريد يافتا ؟ فقال ياسيدى نحو المشرق ألتمس فيه العلم ، فقال له المعصوم رضى الله عنه : العلم الذي تربيد اقتباسه بالمشرق قد وجدته ' بالمغرب . فلما انصرف الناس من القراءة أراد الخليفة أن ينصرف ، فقال له المعصوم رضى الله عنه : تبيت عندنا باشاب ، فقال له: نعم يافقيه ، فيات عندنا فلما جنَّ الليل ' ناداني المعصوم : ياأبا بكر ، ادفع لي الكتاب الذي في الوعاء الأحمر ، فدفعته له وقال لي : اسرج لنا سراجاً ، فكان يقرأه على الخليفة من بعده وأنا يومئذ ماسك" السراج أسمعنه يقول: لا يقوم الأمر الذي فيه حياة الدين الا بعبد المؤمن بن على سراج الموحدين ، فبكا الخليفة عند سماع هاذا القول ، وقال يافقيه ما كنت في شيء من هاذا ، إنما أنا رجل أريد ما يطهرني من ذنوبي ، فقال له المعصوم : إنما

تطهيرك من ذنوبك صلاح' الدنيا على يديثك ، ثم دفع له الكتاب وقال طوبا لأقوام كنت مُقدمَهم ، وويل" لقوم خالفوك أولهم وآخرهم ، أكثر ° من ذكر الله يبارك الله لك في عمرك ويهديك ويعصمك مما تخاف وتحذر ، ثم قال لي المعصوم رضى الله عنه ياأبا بكر : ناد الصبيان للورد يقومون يأخذون حزبتهم فلما أقبلوا ناداهم فقال لهم إنما الله إلاه" واحد ، والرسول حق ، والهدى حق ، فاقرأوا حديث أبي داوود تعرفوا الأمر ، وعليكم بالسمع والطاعة لربكم ، والسلام . فأخذوا وردهم وقرأوا حزبهم ، فلما أصبح أقبل يعلو عم الخليفة أمير المؤمنين رضي الله عنه ، وقال له ياعبه المؤمن حبستنا حتى تقلع المراكب ، فقال له المعصوم رضي الله عنه : العلم الذي يريد اقتباسه بالمشرق قد أتاه بالمغرب ، فاترك الأمر على مراد الله والامام .

وكان يقرأ على الامام المعصوم رضي الله عنه وكان أفهم الطلبة ، وكان إذا أراد النوم يقول له المعصوم رضي الله عنه كيف ينام من تنتظره الدنيا ، فلم يزل على تلك الحال أشهراً ، فلما كان يوم من الأيام أقبل رجلان يريدان المشرق: اسم أحدهما عبد الله بن عبد العزيز ، والآخر عبد الصمد بن عبد الحليم ، فقال لهما الاهام رضي الله عنه مر أين أقبلتما أيها الرجلان ؟ قالا من بلاد المغرب ، ولما وصلا بقيا باهتينن ، فقال لهما الامام المعصوم رضي الله عنه ما لكما لا تتكلمان؟ فقالا له نحن ما نفهم العربية بلسانهما ، وقالا له يافقيه ، وصلنا من درن (١١) من تينملل (١٤) فسألهما في قولهما ، ودعا لهما وسارا ، فلما أمسا المساء قال لنا : عو الوا على السير نحو المغرب إن شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله .

١٥) ما زالت ترية تاجرا معروفة باسمها الى اليوم ، وهي موجودة بتراب قبيلة بني عابد المستقرة على ساحل البحر الى الشمال الشرقى من مدينة تدرومة وغربي نهر الفناء (تافنا) .

¹²⁾ قرية واقعة بتراب بطن فرغوسة أحد بطون قبيلة كدمة (وكدمت) الكندافية ، على بعد كلم واحد من الطريق الذاهب من مراكش الى رودانة (الكيلومتر 104) ، بها قبر المهدى وخليفته عبد المومن بن على وأطلال مسجد عظيم .

باب نذكر فيه الغروج من ملالة وسير المعصوم نعو الغرب

إعلم أنه لما أراد الامام السير نحو المغرب دعا براحل والدة يرزيجن بن عمر المكناً بعبد الواحد الشرقي ، وقال لها ياراحل ، تتركين ابنك عبد الواحد يسير معنا ؟ فقالت له يافقيه ، هو معك إذا أراد أن يسير يسير ، فقال لها ياأمي أسير معهم ، فقال لها المعصوم : له في هاذا خيرة ، فقالت له : يسير حيث ما حملته ، فقال لها : ياراحل اتركى لنا الدابَّة تحمل الأسفاط ، فدفعت لنا فلوة شهباء بيضاء البطن ، فلما وصلت قال لى المعصوم ياأبا بكر خذها ، فأخذتها فكنت أخد مها ، فخرجنا حتى وصلنا متيجة ، فلما نزلنا بها ، قال لى عبد المؤمن بن على الحليفة أمير المؤمنين أتعرف دواء للمشبق (١3) فقلت له يامولاي والله لا أعرف له دواء، فلما أصبح سرنا فكان الخليفة يتأخر وكان الامام المعصوم يقول له سر ياعبد المؤمن ، فقلت للمعصوم إنه ممشوق ، فقال المعصوم ياعبد الواحد ركتب أخاك وامش ، فلما سمعه هاب ، فسرد" المعصوم رأسه إليه وقال له إركب ، فركبه فأطرق عبد الواحد برألسه إلى الأرض ، فقال له الامام ياعبد الواحد طيِّب فنسك ، فلقد يجازيك عليها بالقصور المشيدة والجواري المزينة والخيول المسومة ، وكان مبيتُنا في متيجة عند جبارة بن محمد ، وأعطاه الإمام خط بده ، وعند الفقيه أبي زكرياء ، ثم خرجنا من عنده نحو الأخماس ، فلما دخلنا الأخماس وجد فيه المعصوم مسحداً مهدوماً فأمر ببنيانه فبنني .

ثم منها نحو كساس ن ومرمور فوجد بها مسجداً معطلا فأمر بعمارته فعمر ، ثم منها نحو مليانة ، ثم منها نحو وانشريش ، فنزلنا بالحضرة فوجدناً بها عبد الله بن محسن الونشريشي المكناً بالبشير (١٤) ثم منها نحو تينملت متاع يني يزناسن فأمر المعصوم بيناء مسجد ، وهم بنو يزناتن متاع تنس (١٥) ثم قمنا منها وبتنا بشلف عند الفقيه أبي الربيع ، وكتب له الامام خط يده وأكرمونا غاية الاكرام ، ثم منها نحو البطحاء ، ولما أشرفنا على البطحاء قطع بنا إنسان يقال له يوسف بن عبد العربين ، وقال سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، سألتكم بالله العظيم إلا ما سرتم معي ، فإن قلبي طاب عليكم ، فقال المعصوم سيروا معه لا تفسدوا عليه خاطره ، فلما نزلنا عنده قال سالتكم بالله العظيم لا تفسدوا علينا سيرتنا ادفعوا لنا من يختار ضيافتكم من الغنم ، فقال المعصوم لعبد المؤمن سر" معه ، وقال لي مر " أنت معه ، فسرت معه حتى وصلنا الغنم ، فاختار كيشاً عسلياً أقرن ، فلما كان من الغد قال باسم الله العظيم اختاروا كبشكم ، فقال الامام المعصوم سيروا معه فأتينا نحو الغنم، فأخذنا كبشاً أكحل العينين فأتيته به فذبحه، فلما كان اليوم الثالث سرت معه واخترت كبشاً عسلياً مثل الأول ، وقال الامام المعصوم في اليوم الثالث هل رأيتم أكرم من هاذا الرجل ؟ ياشيخ ما اسمك وما اسم أبيك ؟ فأعلمه ، فكتب له المعصوم خط يده ، وقال أعطني جلداً فدفع له جلداً من مزود ، فأخذه المعصوم وجعل له حرزاً وقال له ياشيخ امسك هاذا عندك ، فان مت يكون عند بنيك فانه خير لك ولعنقبك حتى يصل الى هاذا الموضع ملك وعسكر فادفع البراءة من يديك ليد الملك ولا تعطها أحداً غيره ، فقال له نعم ، فارتحلنا ، فلم نزل نجد السير حتى وصلنا تلمسان بالعافية .

¹³⁾ تحرق الركبتين والربلتين من كثرة احتكاكهما أثناء المشي .

¹⁴⁾ عبد الله بن محسن البشير الونشريسى ، من أهل المغرب الأوسط ، لقى المهدى اثناء مروره بجبال ونشريس عندما كان راجعاً من رحلته المشرقية ال وطنه فاعجب به وتتلمذ له وتبعه وصار من خواصه ، ولما بدأ المهدى تنظيم حركته كان من العشرة الذين سارعوا الى بيعته ، وصار بذالك من اهل الجماعة العشرة الذين كانوا بمثابة هيأة تنفيذية لها ، وأناط به المهدى كثيراً من العهام أثناء نضاك ضعد المرابطين ، فقاد عليهم عدداً من الحملات ، وتولا تسييز المرحدين ، وفقد في وقعة البحيرة بابواب مراكش التى هزم فيها المرابطون الموحدين يوم السبت 12 أبريل 1130 (2 جمادى الأولا عام 524 هـ) .

 ⁽¹⁵⁾ مدينة ساحلية بين الجزائر ووهران ، كثيراً ما يغلط النساخ في رسمها فيكتبونها
أونس .

باب نذكر فيه فأقبل الفقهاء يهرعون نحو الامام المعصوم الذين منهم زيدان ويحيا اليرناني ويوسف بن سمغون ، وعبد العزيز بن يخلفتن السوسي ،. فكان المعصوم دخول المعصوم تلمسان يأمرهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، فلما خرج في اليوم الثاني نظر إلى النساء يستقين والرجال يتوضأون ، فقال أليس هاذا منكراً ، النساء مع الرجال مخلوطين ، إصنعوا لنا ساقية وصهريجاً عند الجامع ، ففُعسل

إعلم يأخى أنه لما دخلنا تلمسان نزلنا بأثدير (١٥) عند ابن صاحب الصلاة ، ولما دخل المعصوم تلمسان وجد بها عروساً تنزف لبعلها وهي راكبة على سرج واللهو والمنكر أمامها ، فكسر الدفوف واللهو وغيَّر المنكر وأنزلها عن السرج ، فالتزم الطلبة المذاكرة للامام المهدى الذين منهم أبو العباس الشريف ، ومحرز بن يوسف التونسي ، وعلي بن صاحب الصلاة ، وابن جبل ، وعثمان بن صاحب الصلاة ، ويحيا بن يافيطين الكسرولي ، وعبد الرحمان الورتندي ، وعلى بن سليمان الثومي ، وعبد الرحيم ومجمد ابن عبد الرحمان المديوني ، فرأوا ما لا ينطيقون ، فلما كان يوم من الأيمام طلع المعصوم بين الصخرتين ونظر يميناً ويساراً فقال ما اسم هاذه المياه ؟ وما اسم هاذا الوطاء ؟ وما اسم هاذا الموضع ؟ فعرفوه أن اسمه كذا وكذا ، فقال لهم بين أظهر كم هنا طالب" ينزل بمحلته هناك في المياه ويسمع ضجيجها من هاذا الموضع ، ثم رجع إلى المدينة وقال نسير غداً إن شاء الله على بركة رسوا الله .

بال نذكر فيه ارتعال المعصوم من تلمسان

إعلم أن المعصوم لما خرج من تلمسان جد بنا السير حتى نزلنا وجدات (٦١) وكان بها ابن سامغين وقاضيها محمد بن فارة ، فنزلنا عندهما

ذالك ، فلما فيعل أمرنا المعصوم بالسير ، فجد ً بنا السير حتى وصل

صاء (١٤) ، فلما دخل صاء نظر النساء مزينات محليات يبعن اللبن فغطا

المعصوم وجهه حتى جازهن ، وكان الفقيه يحيا بن يصليتن حاضراً فقال له

الامام كيف تترك النساء محليات مزينات كأنهن قد ز ففن لب عاولتهن ، أما

تتقون الله في تغيير المنكر ، لا سبيل لهم لما يصنعون ، فانما يصنعون أفعال

الجاهلية الأولا ، وإنما يخالفون الله في أفعالهم ، هلا اعتبروا قوله تعالا :

(وقل " للمؤمنات يغضنُضن من أبصار من ويحفظن فروجَهن ولا يبدين

زينتهن ً إلا ما ظهر منها) الآية ، فغيَّر المنكر وأمر بالمعروف وسار نحو

أثرسيف (١٦) وكان بهما يومئذ عمر ابن تاثرطاست والحاج التكروري،

فنزل بها المعصوم عند حلتًى وأخيه الحسن ابني أبي تجارة وغيرهما ومحمد

بن تاسكورت ودحمان بن منينة ، وعلى بن محمد الزناتي ، ويوسف المواسى ، فأمرهم المعصوم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ، فسمع يوماً من الأيام أن

رجلا صلب حياً فخرج اليهم وبدر شملهم ، وقال لأي معنا يُصلَب الأحياء؟

إنما الصلب للأموات إن كان وجب عليه الموت فاقتلوه وبعد ذالك اصلبوه فلما را(السوقة)أنه يأمر بالمعروف وينها عن المنكر أقبلوا نحو الامام المعصوم ،

وقالوا له يافقيه إجعلنا بينك وبين النار حجابًا ، فقال لهم المعصوم فيماذا ؟

قالوا له قتلت نعامة للوزير فهو يغرمنا فيها ألف مثقال ، فقال لهم نعم ، ثم إن المعصوم سار عند يحيا بن فانو ، فأعلمه بذالك ، فقال له والله يافقيه

ما عرفت ذالك ، فأمر الوزير أن يغرم ما أخذ من الناس من المظالم وأراد

16) أكديو : اسم الأحياء السفلا من تلمسان ، ما زالت تدعا كذاك الى البوم ، بها

المسجد الذي بناه الإمام ادريس بن عبد الله الكامل مؤسس الدولة الادريسية المغربية . 17) وجدات ج وجدة المدينة المغربية الشهيرة ، كانت في بدايتها تتكون من عدة قرا منفصلة عن بعضها بأسوار فكانت تدعا بسبب ذالك وجدات ، ولما ضمت القرا المذكورة الى بعضها وصارت مدينة واحدة دعيت وجدة بالافراد .

¹⁸⁾ صاء : هي قرية تاوريرت الحالية ، وهي واقعة على وادي زا الذي ينطق زايه منلظًا إبين الزاي والصاد .

rg) هي قرية كرسيف الحالية الواقعة على نهر ملوية في الطريق بين وجدة وتازة .

باب نذكر فيه دخول المعصوم فاسا ونزوله بها

إعلم أسعدك الله سعادة المقربين أنه لما دخل المعصوم فاساً نزل بها بمسجد ابن الغنام ، ثم رحلنا منه لمسجد (بن الملجوم)، ثم منه لمسجد يعرف بطريانة ، لأنه كان فى الصومعة بيت ، وكان المعصوم يعمره ويقرىء فيه العلم ، وكانت طلبة فاس يهرعون إليه من كل مكان ، ويتصابح بعضهم لبعض يقولون تعالوا بنا للفقيه السوسى الذين منهم علي بن الملجوم ، وأخوه أحمد ، وابن أبى داوود ، وأحمد بن دبوس ، وعبد الرحمان بن الشكة ، وأحمد بن بيضة ، وابن أحمد ، وعبد الرحمان الشريف ، وابن مسولة ، وابن برقوقة ، وعبد الرحمان بن زكور ، وابن الغريس ، ويوسف ابن المغيلي ، وأحمد بن يعبد راسه ، هاؤلاء الذين كانوا ملازمين الامام المعصوم يأخذون عنه العلم ويذاكرونه فيما عندهم من المحفوظ، فكان المعصوم يفحمهم ويفهمهم، وكان المعصوم يمشى ويلقا الصغار إذا خرج ويرونه ويتعلقون به ، فكان يمر يده المباركة على رؤوسهم ويقول لهم أسعدكم الله ، أي زمان تدركون يابني.

فلما كان يوم" من الأيام دخل علينا المعصوم وقال لنا أين الصبيان؟ فقلنا هنا نحن حاضرون، قال ما منكم أحد غائب، قلنا كلنا حاضر، فقال المعصوم اخرجوا واقطعوا مقارع من شجر التين الذي أسفل الوادي الذي لا ينتفع به وأقبلوا بسرعة، وكنا في سبع نفر أولنا الخليفة عبد المؤمن بن علي، وعبد الواحد، والحاج عبد الرحمان، والحاج يوسف الدكالي، والعبد الفقير أبوبكر بن علي الصنهاجي المكنا بالبيذق، وعمر بن علي، وعبد الحق بن عبد الش، وكانوا يقرأون على المعصوم، فخرجنا السبعة وأقبلنا بسبعة مقارع من ذكار التين، فقال لنا أخفوا مقارعكم وسرنا معه وما علمنا أين يتوجه حتى وصلنا زقاق بزقالة، قبال لنا تفرقوا على الحوانيت، وكانت الحوانيت

قتله ، فقال له المعصوم ما عليه قتل ، إنما عليه الأدب فأمره ورد المظلمة ونادا المنادى يأمر يحيا بن فانو من ظلمه الوزير فليصل ينصف وحسيب من تقلد الله ، فلما وصا المنادى طرف المدينة نادا أن لا سبيل لمن يغرم في النعامة شيئاً إلى الابدين .

وأمر بالمعروف فيهم ونها عن المنكر ، وقال من غد خذوا على أنفسكم نسير إن شاء الله ، فلما ساروا جدوا حتى أشرفوا على أمليل (20) فقال المعصوم ما اسم هاذا الموضع ؟ قالوا له أمليل ، فرد المعصوم يده للخليفة عبد المؤمن أمير المؤمنين ، وقال له اعقل على هاذا الموضع ، لابد لك أن تركز عليه إن شاء الله .

ثم جددنا السير حتى وصلنا لدشر قلال (21) ، فنزلنا فيه بالمسجد ، فسمع المعصوم بالدشر اللهو وصراح الرجال والنساء ، فقال غيروا هاذا المنكر ، وأمروهم بالمعروف ، وأشار المعصوم بيده للحاج الدكالي وعبدكم الفقير لله ولكم ، فقمنا حتى وصلنا إليهم ، فقلنا لهم قد حرم اللهو والمنكر لأنه من أفعال الجاهلية ، وما كفا ان الرجال والنساء معا لا فرق بينهم وقالوا هاكذا السيرة عندنا ، فأمرناهم بالمعروف فلم يسمعوا ونهيناهم عن المنكر فلم ينتهوا فأعلمنا المعصوم بذالك وقلنا لهم يأمركم الفقيه بالمعروف فقالوا معروفنا عندنا ومعروفكم عندكم ، سيرا ، وإلا نشل بكما وبفقيهكما ، فقالوا معروفنا المعصوم بما قالوه ، فقال المعصوم يأبا بكر جهر الدارة وألق عليها فأعلمنا المعصوم بما قالوه ، فقال المعصوم يأبا بكر جهر الدارة وألق عليها من ليلتنا مخاض النساء فلما وصلنا الفج رد المعصوم رأسه للخليفة وقال لم اعقل على هاذا الموضع إذا كان رجوعك عليه وسارة ، بكلام ، فأقمنا فيه حتى طلع الفجر وصلينا الصبح ومشينا للمقرمدة فنزل المعصوم بها عند عبد الله الفقيه ، ومنها نحو عين الرقى عند ابن مضكود ، وكان الطلبة يهرعون اليه من كل جانب ومكان ، ثم خرجنا نحو فاس في أمن ودعة وبركة من الله .

²⁰⁾ قرية ببطن أهل السدس من قبيلة غيانة ، واليها اضافة وادى أمليل .

⁽²¹⁾ لعله الدشر المعروف اليوم بعين بوقلال الواقع بتراب قبيلة مكناسة على الطريق الذاهب من تازة الى اكنول.